الفصل التاسع

" ستالين الورع " !!

كثيراً ما يسعى أبناء الأسكيمو، إلى تعليم سكان خط الاستواء، كيفية التغلب على الحر الشديد ... !!.

[. . . . .]

تحت عنوان « الإسلام الأحمر » كتب المؤلف مقالاً في كتابه (ص ٣٨٣ - ٣٩٥) عن الإسلام في الاتحاد السوفيتي، الذي زاره من قبل.

يسأل المؤلف صديقاً له يعمل في السلك الدبلوماسي بموسكو : كيف تحرر المسلمون من استعمار الإنجليز والفرنسيين وغيرهم، في شتى أنحاء الأرض، ولم يتحرر المسلمون السوفيات ؟ ... بعبارة أخرى - يقول - : ما السر في أنه - بالرغم من كل ذلك الغليان والتوتر والنضال اللفظي - على الأقل ضد الخطط الإمبريالية في العالم الإسلامي - نرى المسلمين هنا بمنأى عن هذه التيارات، فلا نكاد نسمع صوتاً ينادي باستقلال، ولا عن حركة تدعو إلى انفصال، ولا مطالبة بحقوق أوسع للمسلمين ؟.

وصديق المؤلف (الذي أخفى اسمه)، يعلل ذلك مبدئياً بحملات الإلحاد في برامج التعليم ووسائل الإعلام، التي - لا بد - آتت ثمارها.

ومع أنه يتحدث عن تحويل المساجد إلى مخازن وملاهٍ، وقلة المصاحف، ومنع الزكاة، وعرض النظام الأحمر لمسرحية « محمد » لفولتير، لأنها تشوه صورة نبي الإسلام ﷺ .... مع ذلك فهو يزعم أن عداء البلاشفة للإسلام، كان أخف حدة من عدائهم للمسيحية واليهودية ... وهذا - فضلاً عما فيه من تزوير لحقائق التاريخ -، فإنه - في ضوء اعتراف المؤلف وصديقه (السري) بما ذكره عن اضطهاد الشيوعيين للمسلمين -، مؤشر على رغبة دفينة بمزيد من الاضطهاد للمسلمين المغلوبين على أمرهم !!.

* * *

أربع نظريات

ويطرح صديق المؤلف أربع نظريات، كتفسير مفصل للظاهرة التي سأله المؤلف عنها ...

١ ـ **النظرية الأولى** : ثمة تمرد من المسلمين، لكننا لا نسمع عنه نتيجة الستار الحديدي الذي تمارسه موسكو، بحجب الأخبار غير السارة، عن العالم الخارجي.

٢ ـ **النظرية الثانية** : أن المسلمين تحت الهيمنة الروسية يائسون من جدوى التمرد.

٣ ـ **النظرية الثالثة** : أن حملات الإلحاد المستمرة منذ سبعة عقود، وما صحبها من تشويه للأديان السماوية الثلاثة، آتى أُكُلَهُ، في الأجيال الجديدة من المسلمين، التي انحسرت العقيدة الإسلامية في صفوفها.

٤ ـ **النظرية الرابعة** : أن تكاثر المسلمين بمعدلات تفوق الأوربيين، سيغير التركيبة السكانية للاتحاد السوفياتي، مما يتيح للمسلمين السوفيات فرصة ممارسة تأثير أوسع في السياستين الداخلية والخارجية للبلاد، الأمر الذي يجعل السياسة السوفياتية ـ حينذاك ـ أكثر تضامناً مع الأقطار الإسلامية ... وهو يرشح المسلمين السوفيات لدور إيجابي، في انتشال المسلمين خارج الاتحاد السوفياتي، من تخلفهم (!!) ... فالمسلمون السوفيات ملتزمون (بخلافنا نحن طبعاً !!) بالروح العلمية، ولذلك يقبلون من الأحاديث

المنسوبة إلى الرسول ﷺ ما يناسب تلك الروح، دون الأحاديث التي تتحدث عن حجم عجيزة الحوراء في الجنة، وعن التمرات السبع التي تشفي من السم والأمراض.

ولا يفوت المؤلف (أو: صاحبه، فلا فرق) أن يسبغ صفة الشرعية على الاحتلال الروسي للبلدان الإسلامية الأسيرة، وذلك لأن تلك الجمهوريات الإسلامية مجاورة لروسيا (بخلاف المستعمرات القديمة غير المجاورة لمستعمريها ـ بكسر الميم ـ من فرنسيين وإنجليز)، وهذا يجعل التوسع الروسي (على حساب الجمهوريات الإسلامية) طبيعياً بعض الشيء، وهذا الإدماج مشروعاً بعض الشيء (!!!!!) .

ولكي تغدو تلك (الشرعية النظرية) أكثر إقناعًا، يدعي صديق المؤلف، أن تقارير اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة، تشير إلى تحسن مستوى الجمهوريات السوفياتية في آسيا الوسطى، فلا بطالة ولا أزمة إسكان ... إلخ .

إن كل الفرق بين المؤلف وصديقه (المزعوم)، هو أن الصديق لا يرى أي تناقض بين القوائم الأربع التي تمشي عليها نظرياته، لتعليل ما يريان أنه استكانة من المسلمين الرازحين تحت الاحتلال الروسي، أما المؤلف فيقول : فإني لا أراها كذلك (!!).

وما عدا ذلك فإن المؤلف لم يخالف الصديق، فربما كانا متفقين في الهوى الفكري، وربما كانا شخصاً واحداً (!!!)...

* * *

نظارة من موسكو ...

من سوء حظ المؤلف، أنه نشر مقالاته ثم كتابه، قبل أن يصعد ميخائيل غورباتشوف إلى زعامة الاتحاد السوفياتي(*)، ويهتك الحجب الغليظه التي كان الكرملين يسدلها، على طبيعة السلطة الشيوعية الوحشية.

صحيح أن غورباتشوف لم يأت بجديد لأن القمع والاضطهاد الدمويين اللذين مارسهما البلاشفة، ضد الإسلام والمسلمين السوفيات، كانا معروفين لجميع الناس الذين لا ينظرون بعيون موسكو، التي زعمت في مطلع الثورة الشيوعية أنها جاءت لتلغي السجن الكبير (تلك كانت تسميتهم لحكم القياصرة)، ووعدت المسلمين بالحرية التي تشمل حقهم في عودة بلادهم حرة مستقلة، بعد أن أخضعها القياصرة للاستعمار الروسي.

لكن ما فعله غورباتشوف، يكتسب قيمة خاصة، لأنه « شاهد من أهلها » (وهي عبارة تستفز المؤلف إذ يستخدمها المسلمون الذين يستشهدون بمواقف المنصفين الغربيين ضد مدنيتهم العنصرية الزائفة). ولذلك لا عذر للمؤلف في تجاهله سياسات ستالين الوحشية التي شردت شعوباً إسلامية كاملة من مَوَاطِنِها (كتتار القرم عقب الحرب العالمية الثانية)، وذهب ضحيتها عشرات الألوف، واعترف بها ـ رسمياً ـ المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي الحاكم في الاتحاد السوفياتي منذ عام ١٩٥٦م ... ناهيك عن عشرات الثورات التي قام بها

(*) كان ذلك عند صدور الطبعة الأولى من «إسلام آخر زمن»، ثم انهارت الإمبراطورية الشيوعية السوفياتية، فتحرر كثير من مسلمي آسيا الوسطى، وما زال بعضهم يرزحون تحت نير الاضطهاد الروسي في حقيقته الصليبية وشعاراته الديمقراطية (كمسلمي الشيشان).

المسلمون السوفيات وقمعها البلاشفة بوحشية لا نظير لها في التاريخ.

ولست أدري كيف طاوعه قلمه ليزعم أن العداء الأحمر للإسلام كان أقل من نصيب اليهود، متناسياً أن اليهود في الاتحاد السوفياتي يعاملون كقومية مستقلة (مع أن الدين لا يشكل قومية في عرف جميع أهل الأرض باستثناء اليهود وشيوعية ستالين !! التي تخص اليهود فيها بذلك الامتياز)، وكيف تجاهل المؤلف دور موسكو (الملحدة !!)، في إقامة دولة دينية لليهود على حساب فلسطين!! والأعجب من ذلك، أن يصبح الإلحاد في اعتقاده سبيلاً إلى التعامل مع الإسلام بروح علمية (!!). إن المسلمين السوفيات الذين سُمِح لهم مؤخراً بطبع المصحف للمرة الأولى منذ ٧٠ عاماً*، يعانون (فضلاً عن القمع وعن تشويه دينهم بالحملات الرسمية) من حملات تضليل وتعتيم رسمية متصلة، أدت بكثير منهم أن يروا أن الفرق بين المسلم وغيره، يقتصر على أن المسلم لا يأكل لحم الخنزير (!!)... فهل هذا هو الإسلام المنقح الذي يبشر به المؤلف ؟ بل لقد مر بنا في فصل سابق أن تلك الحرب الشرسة اللاإنسانية، أدت ببعض المنحدرين من أصول إسلامية، إلى أن يكونوا أساتذة لتعليم الإلحاد (العلمي !!)، ويزعمون (مع ذلك) أنهم مسلمون(!!!).

* * *

* هذا وقد مَنَّ الله عليهم فجاء منهم إلى حج هذا العام ١٤١٠هـ ألف وخمسمائة حاج تقريباً وقد رأينا الفرحة تغمرهم، وتكفلت حكومة المملكة العربية السعودية باستضافتهم.

مسروقة من الصهاينة

ولقد كشف المؤلف عن خبيئة نفسه، فأغنانا عن الاستنتاج، حين أضفى المشروعية على الاحتلال الروسي (القيصري الصليبي ثم الشيوعي الملحد) للأقطار الإسلامية الجريحة في آسيا الوسطى ... ولعل القارئ مازال يذكر (مقابل هذا)، أن المؤلف صور الفتوحات الإسلامية على أنها ناتجة عن شهية التهام ونهب عند أجدادنا الفاتحين، الذين حرروا شعوباً بكاملها من عبودية الطغاة ومن استغلال رأس المال ... ويبدو لي أن السبب في تمييز (المشروعية والطبيعية في احتلال الروس لبلدان إسلامية بكاملها بالقوة والقسوة)، عن الالتهام والنهب الذي مارسه المسلمون الفاتحون (الذين شهد لهم المنصفون من الغربيين بأنهم أعدل الفاتحين وأرحمهم)، هو أن الأخيرين جاؤوا من الصحراء، والصحراء (في اعتقاد صاحبنا) لا تأتي بخير، لأن الإسلام بدأ رحلته المظفرة منها (!!).

إن شعوباً كاملة فتحها المسلمون، احتفظت بلغاتها المحلية، كما احتفظت طوائف منها (حتى يومنا هذا)،بأديانها السابقة، دون أن تجبر على تبديل لغتها ولا دينها !! أما المسلمون تحت الاحتلال الروسي الصليبي ثم الملحد (وهو مشروع وطبيعي نسبياً عند المؤلف)، فقد تم إكراههم على تغيير لغاتهم، وحُرِموا من الكتابة بأبجدياتهم الوطنية !!.

أما أن يكون ضمُّ الجار القوي البلد المجاور له (إذا كان ضعيفاً) أمراً مشروعاً بعض الشيء وطبيعياً بعض الشيء، فإنه نسفٌ لكل القيم الإنسانية

التي يتشدق بها الغرب اليوم!! . إن العقلاء المنصفين من الغربيين باتوا ينظرون إلى موروثاتهم من هذه الأفكار العنصرية اللاأخلاقية، نظرة احتقار !! فكيف يتبناها (فضلاً عن دواعي الإنصاف المفترضة في المحايدين) مؤلف مسلم (مستنير)، ضد مسلمين يجب أن يشعر تجاههم بأنهم إخوة له !!.. إن المسلم (غير المستنير بمقاييس صاحبنا)، يأبى أن يقر بمشروعية أي ظلم يقع من إنسان على إنسان فكيف إذا كان المعتدي ملحداً لا يؤمن بالله، والفريسة مسلمة ؟!.

إن هناك كياناً واحداً في الكرة الأرضية، يتبنى نظرية المؤلف من قبل أن (يبدعها)، هو الكيان اليهودي في فلسطين المحتلة !!، الذي يرفع شعارات الحدود الآمنة (ومعناها التوسع على حساب أراض عربية جديدة).

وحيث أن الصهيونية هي الأقدم، فإنه حسب قواعد النقد الأدبي، التي تقول: إذا تشابه عملان أدبيان فإن اللاحق هو السارق من السابق، فإنه يمكن لنا أن نقول : إن المؤلف سرق نظرية الصهاينة ونسبها إلى صديقه في موسكو، دون أن يشير إلى مصدره الأساسي !!!.

أما التقارير التي نسبها صديقه إلى الأمم المتحدة، والتي تشير إلى تقدم اقتصادي في الجمهوريات الإسلامية المحتلة من قبل روسيا، فيكفي (في هذه العجالة) أن نرد عليها بإيجاز :

١ ـ إن التوثيق من أبسط مقتضيات الكتابة العلمية ... فكان من الضروري أن توثق تلك التقارير برقم وتاريخ، ليتسنى لمن شاء التثبت أو التوسع أن يعود إلى الأصل.

٢ ـ قبل تسنم غورباتشوف إلى سدة السلطة في الكرملين، كان أي حديث عن البطالة في الإمبراطورية الحمراء كلها (فما بالك بالجمهوريات الإسلامية)

من أكبر الجرائم ... لكن سياسة المصارحة التي تبناها غورباتشوف، كشفت الستار عن صورة مناقضة تماماً للصورة الوردية الرسمية السابقة.

٣ ـ هل يرضى المؤلف أن يُنْفِقَ عليه شخص ما، فيوفر له مستوى جيداً من المأكل والمشرب، مقابل أن يهين كرامته ويستعبده ؟!!!.

ومنذ متى ترضى الشعوب الكريمة بالاستعمار مقابل طعام مطبوخ جيداً (هذا إذا سلمنا جدلاً بأن الأمر كذلك في الجمهوريات الإسلامية، وهو غير صحيح أبداً).

٤ ـ كيف يتغافل المؤلف عن الثروات الطبيعية والزراعية التي استنزفها الروس من الجمهوريات الإسلامية، مقابل بعض التطور في الخدمات ؟!!.

٥ – يضاف إلى ذلك كله التلوث البيئي الخطير، إذ كان الروس قد جعلوا الجمهوريات الإسلامية ميدانًا لتجاربهم على أسلحة الدمار الشامل!!!

* * *

كلاب بلا خنازير !!

يقول المؤلف أكثر من مرة (انظر مثلاً ص ١٥٠، ١٥١، ٢٣٣) : إن نظرية بافلوف عن الفعل الشرطي المنعكس التي طبقها صاحب النظرية على الكلاب، تنطبق ـ عند المؤلف ـ على الشعوب بوجه عام.

ولذلك كتب المؤلف فصلاً (ص ١٥٢ ـ ١٦٠)، سماه « رسالة في الإصلاح الديني » يوجهها إلى شخص (ربما كان رمزياً) ، أخذ على المؤلف أنه في جلساته الخاصة، يكون أكثر صراحة في أفكاره الدينية (الإصلاحية)، منه حين ينشرها إذ يُقَنِّعُهَا ـ حينذاك ـ بألف قناع ... وخلاصة دفاع المؤلف تجاه لوم صاحبه له، أن الترفق والتدرج، هما السبيل الأوحد إلى إصلاح عقائد الناس، لأن مجابهتهم ـ دفعة واحدة ـ بحقيقة منزهة مطهرة، قد أزيلت منها كافة الشوائب (لأني رجعي أقول : إن الصواب لغة هو : الشوائب كافة)، تجعل الحق غير قابل أن يعلم (بتشديد اللام المفتوحة)، وتجعل التعليم غير صالح ليكون طريقاً إلى بلوغ الحق.

ويمضي المؤلف في نظريته شوطاً آخر، فـ (يرتقي) بالمسلمين من مستوى الكلاب إلى مستوى الخنازير، فيقول : والمسيح (عليه الصلاة والسلام) أوصى حواريه بألاَّ يلقوا الدر في أفواه الخنازير (!!!) . وليس من نبي قط ـ مازال الكلام للمؤلف ـ كاَشَفَ العامة، منذ بداية دعوته بجميع ما يعرف(!!) .. وحِفْظُ العلم ممن يفسده ويضره، أولى من عدم إعطاء السفيه ماله الذي يضر به (!!) .. والإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال :

لا ينبغي أن يفشي العالم (بكسر اللام) كل ما يعلم إلى كل أحد (!!). والشطر الأكبر من الناس (يضيف المؤلف) جهلة، يعملون في مهن بدنية مضنية، تحرمهم من فرصة الدراسة والتأمل، وتبلد أذهانهم، وتنقص من ذكاء الروح، وذلك ناتج عن العداء الراسخ بين العقل والجسد (!!!).

لذلك لا يمكن تقديم الحقيقة لهم، دون أن يقحموا عليها، بعض ما توارثوه من أوهام كاذبة، جيلاً بعد جيل ... وهذا ليس يأساً، فالمؤلف متفائل بوصول البشر في زمان قريب أو بعيد ـ بفضل نشر التعليم والدعوة المستنيرة (!!) المتأنية، وبفضل ما قد ينجم عن التوسع في استخدام الآلة، من تخفيف أعباء العمل الزراعي والصناعي ـ إلى قدر من النضج، يصبحون معه قادرين على تقبل الدين، مجرداً من الخرافة والتراهات، بل وحتى من الرموز والأسرار (!!).

* * *

والبقية تأتي

قبل أن نناقش هذه الرؤية الشاذة للإسلام والمسلمين أود التنبيه إلى أن المؤلف، لم يخيب ظنوننا التي نبعت مما عودنا عليه في كتابه ... فهو ـ كالعهد به ـ يرد على نفسه ... إنه ينسب (ص٣٣٥ ـ ٣٣٧) إلى مسلمين (غير مستنيرين طبعاً) حاوروه في أمريكا، أنهم قالوا له : إن ما تكتبه يصلح للفقهاء المتبحرين وليس للعامة، فيرد عليهم بأنه يعمل بحديث للنبي ﷺ، خلاصته أن الله ـ عز وجل ـ أخذ الميثاق من العلماء كما أخذه على النبيين : أن يبينوا العلم للناس ولا يكتموه (!!).

لكن المؤلف يعود أدراجه (ص ٣٣٩)، فيؤكد لمحاوريه أن رأيه في العامة لا يقل عن رأيهم، بل هو يذهب أبعد مما قالوه.

نخلص من ذلك إلى أن الكتاب ـ على كثرة ما احتواه من شذوذ وخروج ومفاهيم تهدف إلى اجتثاث الإسلام من جذوره ـ ليس كل ما لدى المؤلف من (استنارة) و (تطوير للإسلام بتأويل ثوابته بما يتواءم مع العقول المستنيرة)!!.

فهناك المزيد والمزيد، لكن الرجل ليس مغفلاً، ليلقي لنا ـ نحن كلاب بافلوف أو الخنازير ـ بكل ما لديه من « در » و « جواهر »؟!. إنه يضن بتلك الثروة، إلى الزمن المناسب: عصر التوسع في استخدام الآلة ، لنبلغ من النضج قدراً يمكننا من تقبل الدين مجرداً من الخرافة والترهات والرموز والأسرار، أي من ذلك الركام الذي آمن به المسلمون عبر ١٤ قرناً، مع ملاحظة أن كل حقبة زمنية (وفقاً لهذا الهدم الصريح !!)، هي أقل شراً من التي قبلها، لأننا نتقدم نحو المزيد من استخدام

الآلة، وعليه فإن عصر الصحابة هو أكثر عصورنا خرافات وترهات ورموزاً وأسراراً، في فهمهم غير الناضج للدين !! إن الكتاب ينطق بالغاية النهائية التي يؤجل المؤلف التصريح بها، إلى أن تسود الآلة ويضمحل العمل البدني..

وهنا واقعة يسوقها المؤلف في خصومته للإسلاميين في أمريكا، لها دلالة واضحة في هذا الإطار.. فهو يزعم (ص ٣٣٣) أن قيام المسلم للصلاة بوجود أناس غير مسلمين من مواطنيه يهدد الوحدة الوطنية، ويدل على ازدراء المسلم لهم!!!. فقد حضر المؤلف حفلة أُقيمت في هيوستن، وَطُلِبَ منه، التقريب بين المسلمين والأقباط من المصريين المقيمين هناك! ويرفض المؤلف القيام لأداء صلاة المغرب، ويرد على ناصحيه بما مضمونه أنه يحترم الأقباط الجالسين، وأن حب خلق الله واحترام مشاعرهم هو أفضل من الصلاة على وقتها.. ويبرر عدم قيامه بـ« حدوتة » يرويها عن المبرد، الذي نهض أحد تلامذته من الدرس، لما حان وقت الصلاة، فقال له المبرد: يا هذا ليس ما قمت لأجله بأفضل مما نحن فيه (!!!) والمضحك المبكي أن صاحب هذا الفهم المدهش لاحترام مواطنيه الأقباط يرفض في كتابه أحاديث صحيحة، تتضمن توصية النبي ﷺ للمسلمين بقبط مصر ـ عندما يفتحها المسلمون ـ خيراً !!!.

أرأيتم؟ إنها مدرسة إسقاط الدين وأصوله وفرائضه لأتفه الذرائع! وإلا فمن قال: إن قيام أي مؤمن بدين لأداء عبادته، ينطوي على احتقار لمن يخالفه في الدين؟ وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يقول في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾[1].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

وهناك عشرات الأحاديث القولية والعملية عن الرسول ﷺ توضح مكانة الصلاة في الإسلام، وأن تركها كفر، أفيأخذ (المستنير) بقول المبرد (لو صحت الأقصوصة) ويَدَعُ قول رب السماوات والأرضين، وقول رسوله الكريم الذي لا ينطق عن الهوى ؟!.

لقد أسقط أحد سدنة التغريب من قبله فريضة الصوم، لأنه (على حد ادعائه الفاجر) يضر بالإنتاج... وقد سبقهم حاخامهم الأكبر « أتاتورك » (الذي يزعم المؤلف أنه لا يؤيده في إنكاره للدين) سبقهم إلى إباحة زواج المسلمة بغير المسلم، تحت شعار الوحدة الوطنية (وهي الوحدة الوثنية في هذه الأحوال)... إن كل ذلك (تطوير واستنارة) يسبقان تنظيرات صاحبنا.. إن من يريد مسخ الإسلام ليواكب العصر (حسب فهمه وهواه) لايُستغرب منه أن يترك الصلاة بحجة أنها عدم احترام للآخرين... وقد تلحق بها (يوم ينتهي العمل البدني المرتبط بالبلادة) خطوة أخرى، هي إلغاء المساجد لأنها تثير غير المسلمين!! وحتى الصلاة في البيوت سيجد المستنيرون (على هذه الشاكلة) ألف كذبة وكذبة لإلغائها، فصلاة الفجر تلغى بسبب البرد، والظهر بسبب الحَرِّ، والعصر وقت قيلولة، والمغرب للنزهة، والعشاء للديسكو!! وصلاة الجمعة تلغى لأن (الأسياد)[1] في أوربا يعملون في ذلك الوقت، فلا ينبغي تعكير السلام العالمي لأجل هذه الصلاة، فالمهم هو (روح الإسلام)!!! وموانع الحمل (تبعاً للمستنيرين) تمنع اختلاط الأنساب، فلِمَ نستمر في تحريم الزنى ؟.

ورد الأمانات يصبح تخلفاً يناسب المسلمين العرب في صحرائهم، قبل أن يلتهموا الشعوب المتحضرة، لأنه (حسب أسباب النزول) مقصور على

---

(١) الجمع الصحيح لكلمة « سيد » هو « سادة » ولكني آثرت استعمال الخطأ الشائع « الأسياد »، لدلالته في أوهام العامة على تحكم الجن في حياتهم .

تسليم النبي ﷺ مفتاح الكعبة لحاجبها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار... وحد القذف محصور في حادثة الإفك، فلا مانع من صحافة الفضائح وأفلام العهر لأنها تناسب العصر، بخلاف العرب ذوي العقول الصحراوية الذين كانوا يفهمون الشرف فهماً غير (مستنير)....

ويصبح نهي الناس عن أداء الصلاة (شرفاً رفيعاً)، لأن قول اللّه ـ سبحانه ـ: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ ﴾[1] نزل في أبي جهل اللعين، ولأن مدرسة (الاستنارة) تؤكد أن الآيات وقف على الوقائع التي نزلت فيها و...إلخ.

لكن المخزي لهؤلاء (المستنيرين) ـ بالإضافة إلى الخسران المبين يوم الحساب ـ أنه لا جديد في أكاذيبهم، لأن غلاة الصوفية سبقوهم إلى كثير منها، ولأن المستشرقين عززوها وزادوا عليها بعد ذلك... فهم لصوص سرقوا الأفاعي لكنهم يزعمون أنهم يحملوا دُرًّا لا يلقونه لنا!!!.

وإذا كان ذلك كفراً بواحاً، وكذباً صراحاً على التاريخ، فإن التعالي على العمل البدني، هو فكر جاهلي عاشه العرب لما كانوا صحراويين عقلياً (أي قبل أن يكرمهم اللّه بالإسلام) وهي فكرة انقرضت مع هتلر وموسوليني كرمزين لمبدأ النخبة الفاشي.

ويتمثل الكذب أيضاً على القرآن وعلى العقل، حين يفتري المؤلف على الأنبياء، بزعمه أنه ما من نبي قط كاشَفَ العامة منذ بداية دعوته بجميع ما يعرف!! فالذي يعرفه كل مؤمن أن النبي (كل نبي)، لا يكتم شيئاً من رسالته في أي وقت، لأنه لا يأتي بشيء من أمور الدين من عنده، فهو عبد

(١) سورة العلق : الآيتان: ٩ ، ١٠ .

اصطفاه اللّه ـ عز وجل ـ لهذه المهمة العظيمة، فالنبي يتلقى أوامر اللّه ونواهيه عن طريق الوحي، وهو معصوم من كتمانها ولو إلى أجل محدود.

ولم يقل بمثل هذه الأكاذيب سوى أهل الشطحات والشركيات من غلاة المتصوفة.

ومن المعلوم للكافة أن الرسول محمداً ﷺ، بدأ الدعوة إلى الإسلام، بالعقيدة الصحيحة « لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه » دون أي تردد ولا إخفاء!!

وكذلك أكذوبة العداء بين العقل والجسد، فهي أسطورة مستمدة من الصراع الذي تزعمه الكنيسة بين الروح والجسد... ويذهل المرء وهو يقرؤها لكاتب يثور على الإسلام الذي وازن بين الروح والعقل والجسد، وكرم العمل اليدوي، يثور ليأخذ بفكرة عنصرية شوفينية سقيمة، يعارضها العلم ويحتقرها العقل.

إن الحقيقة التي يأبى أمثال هذا الرجل أن يسلّموا بها، هي أن الإسلام لا أسرار فيه ولا خرافة ولا ترهات، وهذا ما نحن على استعداد للبرهنة عليه علمياً في مناظرة مفتوحة مع أي شخص زَيَّنَ له هواه اتباع الشيطان.

إن الحقيقة المنزهة، أبلغها إلينا محمد ﷺ ولم يَخْلُ يوم واحد منذ ١٤٢٣ عاماً، من جماعة تعرف تلك الحقيقة وتؤمن بها وتدعو إليها، وهي محفوظة بوعد إلهي لا يتخلف:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾[1].

واللّه ـ عز وجل ـ لا يخلف وعده، ومن أصدق من اللّه قيلا؟!.

* * *

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

في البـاب الثـاني رد على أكـاذيب المؤلف رداً إيجابياً موسعاً وموثقاً... ويبدأ بإثبات كذبه وعدم أمانته بتحريف النصوص وسرقة أفكار المستشرقين دون نسبتها إلى أصحابها.